

في هذا إشارة إلى معنى (الاختلاف) في شعر أبي الطيب، هذا الشعر الذي يغير العلاقات داخل الأشياء فهو شعر يجعل الأعمى بصيراً مثلما يفتح آذان الأصم فتسمع. وقصيد هذا شأنه لا بد أن يكون مختلفاً ومفتوحاً على آفاق العالم، بحيث إن الحواجز تسقط أمامه، ولا تحده حدود حتى ليخترق النظر وينفذ إلى السمع. ويبلغ الأمر بالكلمات أن تكون مادةً لجدل بشري مفتوح يجعل الخلق يسهرون جارين وراء هذه (الشوارد) فلا يمسون بها ولا يتفقون حولها، ولكنهم يظلون ساهرين ملاحقين لها ومختصمين بشأنها.

والشاعر يشير إلى عنصر (الشوارد) وعنصر (يختصمون) ملمحاً بذلك إلى أن الشاردة لا تكون كذلك إلا إذا كانت مستحيلة الإدراك، وهذا ما يجعلها شوارد ولو تم الإمساك بها لما صارت (شاردة) وستسقط عنها هذه الصفة وسيبقى النص حينئذٍ بانتفاء صفته الأساس. كما أن قوله (ويختصم) إشارة واضحة إلى (الاختلاف) وإلى استمرار هذا الاختلاف الذي لا يفضي إلى اتفاق، ولكنه يدخل بنا من جدل إلى جدل ومن إشكال إلى إشكال. وهذا هو تاريخ المتنبي في ثقافتنا، إنه رجل الاختلاف والشوارد والخصومات لأنه صاحب نص مختلف ومفتوح. وقد قارن المتنبي نفسه مع غيره حينما قال⁽²⁹⁾:

ودع كل صوت غير صوتي فإني

أنا الصائح المحكي والآخر الصدى

(29) المرجع السابق 15/2.